التفسير وعلوم القرآن في كتاب (الأدب المفرد) للإمام البخاري

د. سماح محمد المولد

الأستاذ المساعد بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

كلية التربية بالدلم

ملخص البحث :

موضوع البحث الحالي **هو: التفسير وعلوم القرآن في كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري**، وهو جمعٌ لما ورد في الكتاب مِن موضوعاتٍ تتعلق بالتفسير وعلوم القرآن، أمَّا **مشكلة البحث فتتلخصُ في الآتي**: ما أحاديث التفسير الواردة في الكتاب؟ ما مباحث علوم القرآن الواردة في الكتاب؟ **ويهدف البحث إلى**: إبراز عِلم الإمام البخاري في التفسير وعلوم القرآن، وإلقاء الضوء على كتاب "الأدب المفرد" في مَرْوِيَّاته، مِن جانبٍ غير جانب الأدب والحديث، وهو جانب التفسير، **ومنهج البحث المتَّبع هو** المنهج الاستقرائي التحليلي؛ حيث تم استقراء كتاب "الأدب المفرد"، وجمع الأحاديث الصحيحة المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن، ومِن ثَم استخدام المنهج التحليلي في بيانها، وبيان طريقة الإمام البخاري في التفسير، ووضع فهرسٍ للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

وخُتم البحث بالنتائج الآتية: ما أورده البخاري هو مِن باب الأحاديث وفضائل القرآن والنسخ، وليس مِن باب شرح الآيات، طريقته في التفسير غلبت عليها الصناعة الحديثية كما نلحظها في ترجمته للأبواب التي غلبت عليها آراؤه الفقهية، تفسيره لا يشمل السورة كاملةً، بل أتى بما يناسب هدف كتابه فقط.

مقدمة:

الحمد لله ذي الجود والكرم، واهب الخير والنِّعم، والصلاة والسلام على نبيه العدنان، المُرسَل للإنس والجان، والصلاة والسلام على آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعدُ: فقد سخَّر الله عز وجل لدينه وكتابه رجالًا، كلما أفل منهم نجمٌ، ظهر آخرُ، ففي أعتاب فقْد الإمام الشافعي، يُخلِف الله بأحمدَ والبخاريِّ ومسلمٍ، وبعد فقْد القاسم بن فِيْرُّه الشاطبي، يسطع نجم ابن تيمية وتلميذه ابن القيم –رحمهم الله أجمعين– قد ملأ علمُهم ومؤلَّفاتهم السمعَ والبصرَ، ولا زال العلماء إلى يومنا هذا يتتبعون كتبهم، ويستخرجون مِن كنوزها مالم يُستخرج.

وهذا الإمام البخاري –رحمه الله– وشهرته وصحيحه أشهر مِن أنْ تخفى على العامي، فكيف بالمتعلم والعالم؟! وقد عُرف بصحيحه، واشتهر مع أنَّ له كُتُبًا غيره، ولُقب بأمير المؤمنين في الحديث مع كونه عالمًا في الفقه والتفسير، وعنايته بالتفسير ظاهرةٌ في كتابه الصحيح.

وبين أيدينا هذا البحث –**التفسير وعلوم القرآن في كتاب "الأدب المفرد" للإمام البخاري**– فكتاب "الأدب المفرد" مُؤلَّفٌ مُستقِلٌ عن الصحيح، أفرده البخاري لجملةٍ مِن الآداب النبوية، وليست هي مجال بحثي هذا، وإنما سيتتبع البحثُ التفسيرَ وعلوم القرآن في هذا الكتاب المبارك.

والصلة القوية بين علمَي: التفسير والحديث لا تخفى، وقد اشتمل الجامع الصحيح على كتابٍ في التفسير، وكذلك كتاب "الأدب المفرد"، ولكنه يفوق عددًا في أحاديثه عن الصحيح.

ومِن هنا كان هذا البحث: التفسير وعلوم القرآن في كتاب "الأدب المفرد" جمعًا ودراسةً. فقد دُرس كتاب التفسير مِن الجامع الصحيح، وكُتب في منهج الإمام في التفسير مِن خلاله،

وهذا البحث أشبه بالتَّتِمَّة للتفسير وعلوم القرآن عند الإمام البخاري مِن خلال كتابٍ آخرَ؛ فالإمام طاقةٌ علميةٌ متوقدةٌ، ومقولة العلماء: "فِقْه البخاري في تراجمه" تجعل لكتبه أهميةً في البحث المستمر لاستخراج درر قوله ومكنون علمه –رحمه الله–.

١/ أهمية الموضوع و أسباب اختياره:

١ـ جمْع الموضوع لعِلْمَين جليلين عن كتاب الله، وهما: التفسير، وعلوم القرآن.

٢ـ مكانة الإمام البخاري وسِعة علمه، والقيمة العلمية لكُتُبه.

ـ أمّا عن أسباب اختياري لهذا الموضوع فهي:

١ـ رغبتي في الكتابة في أبحاث تجمع تفسير القرآن بغيره مِن العلوم.

٢ـ إعجابي بالإمام البخاري وعِلمه وجهده المشكور في علم الحديث، أثار لديَّ الرغبة في معرفة دوره في علم التفسير أيضًا.

٢/ مشكلة البحث:

مِن الأهمية بمكانٍ تتبُّعُ كُتب الآثار، واستشراح نصوصها، ومعرفة ما حوته مِن علومٍ، خاصةً تلك التي جاءت تبعًا؛ فكُتُب السابقين الأفذاذ مليئةٌ بكل علمٍ، فهل اشتمل كتاب "الأدب المفرد" للإمام البخاري على التفسير وعلوم القرآن؟

تساؤلات البحث:

١ ما أحاديث التفسير الواردة في الكتاب؟

٢ـ ما مباحث علوم القرآن الواردة في الكتاب؟

٣/ أهداف البحث:

١ـ إبراز عِلم الإمام البخاري في التفسير وعلوم القرآن.

٢ـ إلقاء الضوء على كتاب "الأدب المفرد" في مَرْوِيَّاته، مِن جانبٍ غير جانب الأدب والحديث، وهو جانب التفسير.

٤/ الدراسات السابقة:

حظيت كُتُب الإمام البخاري -وعلى وجه الخصوص: الجامع الصحيح والأدب المفرد- بعنايةٍ كبيرةٍ فائقةٍ مِن العلماء: فمِن شارحٍ، ومِن مختصرٍ، ومِن جامعٍ للزوائد، ومِن مُبيِّنٍ لصحيحه مِن ضعيفه، ولكني لم أجد مِن بينها على حسب علمي كتابًا أو بحثًا استخلص التفسير وعلوم القرآن مِن كتاب "الأدب المفرد"، ومِن هذه الكُتب:

١ـ "فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد" للشيخ: فضل الله الجيلاني، طُبع في المطبعة السلفية مُصوَّرًا عن نسخة طبعة القاهرة (١٣٧٨)، شرح فيه بعض الأحاديث، ولم يستوفِها كاملةً، وعلق عليها بتعليقاتٍ نافعةٍ.

٢ـ "رش البرد شرح الأدب المفرد" للدكتور: محمد لقمان السلفي، طباعة دار الداعي بالرياض، ومركز العلامة عبد العزيز بن باز للدراسات الإسلامية- الطبعة الثالثة ١٤٢٨هـ، شرح فيه جميع الأحاديث، لكنه شرْحٌ مختصرٌ أشبه بإيضاح للمفردات فقط، فلم يذيِّلها بفوائدَ ولطائفَ مِن الأحاديث، لكنه ولم يتكلم عن علاقة الحديث بالباب ولا عن الأسانيد، وفي الشرح بعض الأخطاء!

٣ـ "شرح صحيح الأدب المفرد" للشيخ: حسين بن عودة العوايشة، ويقع الكتاب في ثلاثة مجلداتٍ، وقد شرح المؤلف الأحاديث الصحيحة فقط، شرحها شرحًا مطولاً أكثَرَ فيه مِن النقول والفوائد، وفيه بعض الأخطاء في تحقيق المتن!

كذا أُلِّفت عدة كتبٍ على "الأدب المفرد": كالزوائد على الكتب الستة، وكتب في التخريج وبيان درجة أحاديثه، منها:

٤ـ "كتاب زوائد الأدب المفرد على الصحيحين" للمؤلف: محمد محمود مصطفى الإسكندري، راجعه وقدم له: الشيخ: أحمد محمد السكندري، نشر دار ابن حزم، الطبعة الأولى – ١٤٢٣هـ، ولم أقف عليه.

٥ـ "زوائد الأدب المفرد على الكتب الستة للحافظ ابن حجر" أخرج زوائده وحقق أحاديثه المؤلف: عبد السلام محمد العامر، طُبع ١٤٤٠ه.

٦ـ "زوائد الأدب المفرد على الكتب الستة" رسالة ماجستير مِن جامعة أم القرى للطالب: صالح إسماعيل حاج، ١٤١٠ هـ..

٧ـ "صحيح الأدب المفرد" للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، والكتاب كتاب تخريجٍ، جمع فيه المؤلف الأحاديث الصحيحة مِن كتاب "الأدب المفرد"، وعدد أحاديثه: ٩٩٣ حديثًا.

٨ـ "ضعيف الأدب المفرد" للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، والكتاب كتاب تخريجٍ، جمع فيه المؤلف الأحاديث الصحيحة والضعيفة مِن كتاب "الأدب المفرد"، وعدد أحاديثه: ٢١٧ حديثًا.

وغيرها؛ فهذه ليست كل الكتاب التي تحدثت عن "الأدب المفرد" شرحًا وتحقيقًا، لكن جميعها ليس لها ذات الهدف الذي مِن أجله جاء هذا البحث.

فالكتب الثلاثة الأولى شرحت أحاديثه، أما بحثي: فهو حصرٌ لأحاديث التفسير وعلوم القرآن، وليس شرحًا إلا ما دعت إليه الحاجة مِن غريب الألفاظ.

والثلاثة التي تليها في زوائده على غيره مِن كتب الحديث، ولم يتعرض بحثي للزوائد مُطلقًا وليس هذا هدفه.

وآخرُها في تخريج أحاديثه والحكم عليها مِن حيث الصحة والضعف، وهذا أيضًا ليس مما قصدتُه في هذا البحث.

ووجه الشبه بينها وبين بحثي هذا: هو قصد هذا الكتاب –الأدب المفرد– بالدراسة والتحليل.

٥/ منهجية البحث:

اعتمدتُ في بحثي هذا على المنهج الاستقرائي التحليلي؛ حيث استقرأتُ كتاب "الأدب المفرد"، وجمعتُ الأحاديث الصحيحة المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن، ومِن ثَم استخدمتُ المنهج التحليلي في بيانها، وبيان طريقة الإمام البخاري في التفسير.

١ـ وقد عزوتُ الآيات إلى سورها بعد كتابتها بالرسم العثماني، ورتبتُ السور على حسب ترتيبها في المصحف.

٢ ـ أعدتُ ترقيم الأحاديث على حسب تقسيمات البحث.

٣ـ ـشرحتُ الغريب مِن الألفاظ.

٤ـ علَّقتُ في بعض المواضع على ما يستدعي التعليق.

هيكل البحث:

وقد جاء هيكل البحث في: تمهيدٍ، وثلاثة مباحث، على النحو التالي:

تمهيدٌ، وفيه:

- التعريف بالإمام البخاري.
- التعريف بكتاب "الأدب المفرد".

المبحث الأول: مصادر (طرق) التفسير، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تفسير القرآن بأقوال النبي ﷺ.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال التابعين.

المبحث الثاني: علوم القرآن الواردة في كتاب "الأدب المفرد"، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: علم أسباب النزول.

المطلب الثاني: علم أمثال القرآن.

المطلب الثالث: علم الناسخ والمنسوخ.

المبحث الثالث: المصادر التفسيرية التي اعتمدها، والمقارنة بين مرويات "الجامع الصحيح" و"الأدب المفرد" في التفسير وعلوم القرآن، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المصادر التفسيرية التي اعتمدها البخاري.

المطلب الثاني: المقارنة بين مَروِيَّات "الجامع الصحيح" و"الأدب المفرد" في التفسير.

الخاتمة: وتضمنتْ أهم النتائج والتوصيات.

تمهيدٌ

التعريف بالإمام البخاري

١ـ اسمه، وكنيته، ونشأته:

هو: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَهْ الجُعَفِيُّ، مولاهم البخاري، وُلد -رحمه الله- في بُخَارى يوم الجمعة في شهر شوالٍ سنة أربعٍ وتسعين ومائةٍ، وتُوفي والده وهو صغيرٌ، فنشأ في كَنَف أمه التي اعتنت بتربيته وأحسنت إليه، أُلهم حِفظ الحديث وحُبِّب إليه طلبه وهو صغيرٌ، فجد في طلبه، وحرص على حِفظه ومعرفة عِلَلِه، واستنباط الفوائد منه.

رحل في طلب الحديث وهو دون العشرين، فرحل إلى الحجاز، ومكث فيها ست سنين، ثم تَنَقَّلَ بين البلدان: فرحل إلى مصر والشام والجزيرة وبلاد العراق(١).

٢ـ شيوخه وتلاميذه:

رحل البخاري وتنقَّل بين عددٍ مِن البلدان، وتلقَّى العلم عن شيوخها، حتى بلغ عدد مَن تلقَّى عنهم قرابة التسعين، منهم: محمد بن يوسف الفِرْيَابِيُّ صاحب "المسند" (٢١٢هـ)، وَعُبَيْدُ اللهِ بْنِ مُوسَى العَبْسِيُّ (١٢٣هـ)، وأبو بكر عبد الله بن الزبير الحُمَيْدِيُّ صاحب "المسند" (٢١٩هـ)، ومنهم: الإمام إسحاق بن إبراهيم بْنِ رَاهُوَيهْ، وعلي بن المديني، والإمام أحمد بن حنبل، وغيرهم ممن لايُعدون كثرةً.

---

(١) انظر: الثقات لابن حبان (٩: ١١٣)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: (٢/ ٦)، وهدي الساري (٣٤٨)، وتذكرة الحفاظ (٥٥٥)، وسيرة الإمام البخاري (٦٦- ٧٢)، والإمام البخاري كما تبدى في الجامع الصحيح (١/ ٣٠)، والإمام البخاري وفقهُ التراجم في الجامع الصحيح (ص ٣٢).

أمّا تلاميذه الذين رووا عنه فمنهم: إبراهيم الحربي، وأبو زرعة الرازي، ومِن العجيب أنَّ بعض شيوخه أخذوا العلم عنه: كـإسحاق بن محمد الرمادي، وعبد الله بن محمد المُسْنَدِيِّ، ومحمد بن خلف بن قُتيبة، ومِن خاصة تلاميذه الذين تميزوا وأشهرهم: مسلم بن الحجاج (صاحب الصحيح)، وأبو عيسى الترمذي، وغيرهم مِن كبار الأئمة المحدِّثين والفقهاء(١).

٣ـ مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه:

جمع البخاري عدة فضائلَ، فكان: كثير العبادة، متسامحًا، لا يغتاب أحدًا، شديد الورع، بعيدًا عن التعصب، كثير التحمل والصبر، ذا أخلاقٍ محمودةٍ بين العالمين، عُرف بالعقل والذكاء والفراسة، ظهر نبوغه ومواهبه العظيمة منذ صغره.

وقد جمع بين الفقه، والحديث والاجتهاد، حتى أثنى عليه أهلُ زمانه ومَن بعد زمانه إلى يومنا هذا.

عُرف قدره وفضله بين أهل الفضل، وكان أهلًا ومحلًا للإعجاب والانبهار به وبعلمه، فجمعوا مناقبه، وألَّفوا في سيرته وعلمه وصحيحه كما فعل الذهبي وابن حجر العسقلاني، فأثنوا عليه، وأنزلوه منزلته، حتى قال فيه يحيى بن جعفر البِيكَنْدِي: "لو قدرت أنْ أزيد مِن عمري في عمر محمد بن إسماعيل لفعلتُ؛ فإنَ موتي يكون موت رجلٍ واحدٍ، وموت محمد بن إسماعيل فيه ذهابُ العلم".

وقال أحمد بن حنبل: "ما أخرجتْ خراسان مثل محمد بن إسماعيل"، وقال نعيم بن حماد: "محَمَّد بن إِسماعِيل البخاري: فقِيهُ هذه الأمَّة"، وسماهُ شيخه: محمد بن بشار: "سَيِّدُ الفُقَهَاءِ".

(١) الإمام البخاري وقِصته في الجامع الصحيح (ص ٣٥٣)، وسيرة الإمام البخاري (١/ ٧٨).

وقال له الامام مسلم بن الحجاج: «أَشْهدُ أَنّه ليس فِي الدُّنيا مثْلُك».

وقال رجاء بن رجاء: "هو آيةٌ مِن آيات الله تمشي على ظهر الأرض"، وقال أبو عبد الله الحاكم في تاريخ نيسابور: "هو إمام أهل الحديث بلا خلافٍ بين أهل النقل"، وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: "ما رأيتُ تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ ولا أحفظ له مِن محمد بن إسماعيل البخاري"، ويقول الحافظ الذهبي في كتابه "العبر": "وكان مِن أوعية العلم، يتوقد ذكاءً، ولم يُخلف بعده مثله، رحمة الله عليه"، وقال الحافظ ابن حجر في كتابه "تقريب التهذيب": "أبو عبد الله البخاري جبل الحفظ، وإمام الدنيا، ثقة الحديث".

وقال الحافظ ابن كثير: "هو إمام أهل الحديث في زمانه، والمقتدَى به في أوانه، والمقدَّم على سائر أضرابه وأقرانه"، هذه بعض مناقبه وفضائله التي أُثني بها عليه، وهي غيضٌ مِن فيضٍ في بحر علمه -رحمه الله تعالى-(١).

٤ـ مؤلفاته:

اجتهد الإمام البخاري في طلب العلم والحديث، فكان حَرِيًا بعد هذه الرحلة أنْ يخرج لنا بنتاجٍ علميٍّ فَذٍّ نُطالِعه في مصنفاتٍ قيِّمةٍ، كان ولا يزال مِن أعظمها كتابُه "الجامع الصحيح" الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى.

وله عدة مؤلفاتٍ أيضًا، منها: الأدب المفرد (الذي هو موضوع هذا البحث)، ورفْع اليدين في

(١) انظر هذه الأقوال وغيرها في: هدي الساري مقدمة فتح الباري (ص٧٩ ٤-٨٤)، وتهذيب (٩/ ٥-٦)، وتهذيب الأسماء واللغات، للنووي (٢/ ٧)، وتذكرة الحفاظ، وطبقات الحفاظ، للسيوطي (٢٠٤)، والبداية والنهاية (١٠/ ٧٤) والإمام البخاري وقد ترجم في جامع الصحيح (ص ٦٦-٦٦).

الصلاة، والقراءة خلف الإمام، وبر الوالدين، والتاريخ الكبير، والأوسط، والصغير، وخلْق أفعال العباد، والمسند الكبير، والتفسير الكبير، وكتاب الأشربة، وكتاب الهِبة، وأسماء الصحابة، والجامع الكبير، والضعفاء وغيرها مِن المصنفات[1].

٥ـ وفاته:

بعد حياةٍ طويلةٍ مِن العلم والعبادة، وتحمُّل المشاق والصبر على الامتحان في آخر العمر كغيره ممن دعا إلى الله، لقي البخاري ربه في قرية (خَرْتَنْكْ) ليلة عيد الفطر بعد صلاة العشاء سَنَةَ ستٍ وخمسين ومائتين، ودُفن يوم الفطر، بعد صلاة الظهر، ومدة عمره: اثنتان وستون سنةً إلا ثلاثة عشر يومًا، فرحمه الله، وأجزل مثوبته[2].

التعريف بالكتاب:

كتاب "الأدب المفرد" للإمام البخاري كتابٌ تحدَّث فيه عن جملةٍ مِن الآداب وفضائل الأخلاق النبوية، ومع أنَّ البخاري ضمَّن صحيحه كتابًا للأدب، إلا أنه عنايةً بهذا الموضوع الهام أفرد فيه كتابًا آخر؛ لذا سُمي بالأدب المفرد، وقد اشتمل الكتاب على جملةٍ مِن الأحاديث المرفوعة والموقوفة، تربو على ما في كتاب "الأدب" الذي في "الجامع الصحيح"، فكتاب "الأدب" في الصحيح عددُ أبوابِه (١٢٨) بابًا، وفيها (٣٠٠) حديثٍ، لكن كتاب "الأدب المفرد" فيه (٦٤٤) بابًا، تحتها (١٣٢٢) حديثًا، كذا اشتمل كتاب التفسير على (٤٧٠) حديثًا، وأحاديث "الأدب المفرد" ليست كلها على درجة الصحيح: ففيه الصحيح، وفيه غير ذلك.

(١) هدي الساري مقدمة فتح الباري (٢/ ٤)، الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح (٥/ ٣).

(٢) الثقات لابن حبان (٩/ ١١٣)، سيرة الإمام البخاري (٢/ ١).

المبحث الأول

طرق التفسير

مرَّ تفسير القرآن الكريم بمراحلَ، فكان النبي ﷺ يفسر لأصحابه القرآن بما في القرآن، ثم بما فهمه هو -عليه الصلاة والسلام- مِن كتاب الله، وهكذا أخذ منهجَه صحابتُه الكرام في تفسير القرآن بالقرآن، ثم بما فسره لهم النبي ﷺ، فإنْ لم يجدوا اجتهدوا وهم أهلٌ للاجتهاد، وهم أهل اللسان العربي الفصيح، وقد شهدوا تنزُّل الوحي على النبي ﷺ، ولما لهم مِن الفهم والمعرفة، فهم أعلم الأمة بكتاب الله بعد رسول الله، حتى نقلوه لمن بعدهم مِن التابعين الذين فسروا القرآن بالقرآن، ثم بما وجدوه مِن أقوال النبي ﷺ، وما تعلَّموه مِن الصحابة -رضي الله عنهم- فإنْ لم يجدوا اجتهدوا، ثم جاءت مرحلة التدوين، فظهرت التفاسير بالأقوال المأثورة. وقد ذكر الإمام البخاري بعضًا مِن مصادر التفسير وطرقه حسبما يجد مِن مَرْوِيَّاتٍ ناسبت هدف كتابه، فمِن هذه الطرق:

المطلب الأول: تفسير القرآن بأقوال النبي ﷺ:

السُّنَّة هي المصدر الثاني مِن مصادر تفسير القرآن؛ فقد حرص -عليه الصلاة والسلام- على بيان القرآن لأصحابه بقوله وفِعله وتقريراته، فجاءت السنة شارحةً للقرآن، ومُبيِّنةً لمجمله، ومُقيِّدةً لمطلقه، ومخصِّصه لما عمَّ، وأورد البخاري في "الأدب المفرد" خمسَ مروياتٍ عن النبي ﷺ، وهي: **سورة غافر:**

١ - (٥٥٣)[1] عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إنَّ الدعاء هو العبادة) ثم

(١) الرقم الأول هو الرقم المسلسل في هذا الموقع، والرقم الثاني هو رقم الحديث في الأدب المفرد".

قرأ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠](صحيح).

فالحديث بيانٌ لفضل هذه العبادة الجليلة -عبادة الدعاء- حتى كأنه جعل العبادة كلها دعاءً وتضرعًا لله وقربًا منه، وفي الآية حثٌّ على الاستزادة مِن هذه العبادة الجليلة على وجه الخصوص؛ فالله هو المقصود بالحوائج، ومحطُّ آمال العباد ورغباتهم، وهو وحده سامع الدعاء ومجيب النداء، ليس في الوجود ربٌّ سواه فيُدعى، ولا في الكون إلهٌ غيره فيُرجى.

سورة الشعراء:

٢ـ (٣٤) عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: لما نزلت هذه الآية:﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قام النبي ﷺ فنادى: ((يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم مِن النار، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم مِن النار، يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم مِن النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم مِن النار، يا فاطمة بنت محمدٍ، أنقذي نفسك مِن النار؛ فإني لا أملك لكِ مِن الله شيئًا غير أنَّ لكم رحمًا سأبلها ببلالها)) (صحيح).

غريب المفردات:

سأبلها ببلالها: «أَيْ: أصِلكم فِي الدُّنْيَا وَلَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، والبِلَال جَمْعُ: بَلَل، وَقِيلَ: هُوَ كُلُّ مَا بلَّ الحلْق مِنْ ماءٍ أَوْ لَبَنٍ أَوْ غَيْرِهِ»(١).

في هذا الحديث يظهر تطبيقُ النبي ﷺ العملي للآيات؛ فهو نبيٌّ مُرسَلٌ كُلف بالبلاغ، وقد أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده -صلوات الله وسلامه عليه-

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر(١/ ٣ ١).

وفي هذا الفعل الذي قام به يتجلى أسلوبٌ مِن أساليب الدعوة التي انتهجها النبي ﷺ حتى يُبلِّغ دين الله.

سورة يوسف:

٣- (٤٧٣) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، خليل الرحمن -تبارك وتعالى-) قال: قال رسول الله ﷺ : (لو لبثتُ في السجن ما لبثَ يوسف، ثم جاءني الداعي لأجبتُ إذ جاءه الرسول، فقال: ﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴾ [يوسف: ٥٠].

ورحمة الله على لوطٍ إنْ كان ليأوي إلى ركنٍ شديدٍ؛ إذ قال لقومه: ﴿ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴾ [هود: ٨٠]. ما إنْ بعث الله بعده مِن نبيٍّ إلا في ثروةٍ مِن قومه). قال محمد: الثروة: الكثرة والمنعة (حسنٌ صحيحٌ).

في هذا الحديث يبين النبي فضل نبي الله يوسف ونبي الله لوط -عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام- فيوسف مع دخوله السجن ظُلمًا، إلا أنه حينما دُعي للخروج لم يُسارع لذلك حتى تثبت عند الجميع سلامتُه وبراءتُه مما رُمي به؛ ولا شك أنَّ هذا حلمٌ منه وصبرٌ على هذا البلاء.

وهذا لوط -عليه السلام- حين سُقط في يده مِن طلب قومه الفاحشة بأضيافه، وأنْ ليس له منعةٌ مِن قبيلةٍ أو عشيرةٍ وهو يُلِحُّ عليهم في الانصراف عما طلبوا ولا مُجيبَ، جاءه النصر على لسان الملائكة، وأنهم رُسل الله، ولن يصلوا إليهم، فلا يحزن، وليقم بما أُمر به مِن الخروج؛ فإنَّ عذاب الله حالٌّ بالقوم الظالمين.

سورة الأحقاف:

٤ - (١٨٩) عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ما رأيتُ رسول الله ﷺ ضاحكًا قطُّ حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم، قالت: وكان إذا رأى غيمًا أو ريحًا عُرف في وجهه، فقالت: يا رسول الله، إنَّ الناس إذا رأوا الغيم فرحوا، رجاءَ أنْ يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عُرفت في وجهك الكراهة؟ فقال: (يا عائشة، ما يؤمِّنني أنْ يكون فيه عذابٌ، عُذِّب قومٌ بالريح، وقد رأى قومٌ العذاب فقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الأحقاف: ٢٤. (صحيحٌ)

غريب المفردات:

معنى لَهَوَاتَه -بالتحريك-: جمع لَهَاةٍ، وهي اللحمة المتعلقة في أعلى الْحَنَكِ، ويُجمع أيضًا على لَهًى -بفتح اللام-(١).

قد يطغى العبد، ويشِذُّ عن طريق الحق كِبرًا وعتوًا، وحينما يُذكَّر بالله: فمنهم مَن يتذكر، ومنهم مَن يزيده التذكير صَلفًا وعنادًا واستهزاءً كما كان مِن قوم هودٍ، أما أنبياء الله والعارفون به: فهم لا يزالون على وجلٍ حتى ينقضي الأجل، فما اغترَّ نبيٌّ ولا رَكَنَ لما له عند الله مِن المكانة وعلو المنزلة، بل لا يزال يدعو بالثبات حتى الممات.

سورة آل عمران:

٥ - (٤٣١) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: (احتجَّت الجنة والنار) -وقال سفيان أيضًا: اختصمت الجنة والنار- قالت النار: يَلِجُني الجبارون ويَلِجُني المتكبرون، وقالت الجنة: يَلِجُني الضعفاء، ويَلِجُني الفقراء، قال الله -تبارك وتعالى- للجنة: أنتِ رحمتي أرحم

(١) [illegible].

بكِ مَن أشاء، ثم قال للنار: أنتِ عذابي أعذب بكِ مَن أشاء، ولكل واحدةٍ منكما ملؤها) (صحيحٌ)ـ

الجنة والنار مخلوقتان موجودتان، وهما مِن غيب المستقبل الذي أخبرنا عنه القرآن، بما جاء مِن صفاتهما وصفات أهلهما، والجنة رحمةٌ لأهلها، والنار ضد ذلك، ولكلٍّ ملؤها.

ومِن خلال ما سبق يتبين لنا أنَّ البخاري –رحمه الله– لم يقصد هنا التفسير بمعنى بيان الآيات، وإنما هي مروياتٌ جَمَعَها؛ لما لها مِن تعلُّقٍ بعلم التفسير وعلوم القرآن كما في الجامع الصحيح؛ فالمقصود هو المرويات الحديثية، كذا يدل ذلك على سِعة مفهوم التفسير عند الإمام البخاري؛ حيث يشمل كل ما تعلق بالسورة مِن أي وجهٍ كان.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بأقوال الصحابة:

فمِن مصادر التفسير بالمأثور: تفسير القرآن بأقوال الصحابة، وهو المصدر الثالث للتفسير؛ لما سبق التنويه بما لهم مِن مكانةٍ وفضلٍ وعلمٍ يؤهلهم لتفسير كلام الله بعد نبيهم، حتى اشتُهر بعضهم وتميز عن غيره بجملةٍ مِن علوم القرآن: فابن عباسٍ في التأويل والتفسير، وابن مسعودٍ في نزول القرآن، وأُبَي بن كعبٍ في القراءات –رضي الله عنهم أجمعين– وأقوالهم التي أوردها البخاري أحد عشر قولًا، جُلُّها عن ابن عباسٍ –رضي الله عنه– وهي بذلك الأكثر بين مصادر التفسير.

سورة الأعراف:

١ – (١٨٣) عن وهب بن كيسان قال: سمعتُ عبد الله بن الزبير يقول على المنبر: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. قال: والله، ما أمر بها أنْ تُؤخذ إلا مِن أخلاق

الناس، والله لآخذنَّها منهم ما صحبتُهم» (صحيح الإسناد).

سورة النور:

٢- (٨١٥) عن عطاء قال: سألتُ ابن عباسٍ، فقلتُ: أستأذن على أختي؟ فقال: نعم،فأعدتُ فقلت: أختان في حجري وأنا أَمُونُهما وأنفق عليهما، أستأذن عليهما؟ قال: نعم، أتحب أنْ تراهما عريانتين؟! ثم قرأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖ ﴾ النور: ٥٨.

قال: فلم يُؤمر هؤلاء بالإذن إلا في هذه العورات الثلاث، قال:﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ النور: ٥٩ . قال ابن عباسٍ: فالإذن واجبٌ، زاد ابن جريجٍ: على الناس كلهم. (صحيح الإسناد).

غريب المفردات

أَمُونُهما: أي: أحتمل نفقتهما(١)، وآتِي لهما بمُؤْنةِ الحَياةِ مِن: لباسٍ، وطعامٍ، وشرابٍ، وما يحتاجانه.

سورة لقمان:

٣- (١٨) عن سعد بن أبي وقاصٍ قال: نزلت فيَّ أربع آياتٍ مِن كتاب الله تعالى، كانت أمي حلفت ألا تأكل ولا تشرب حتى أفارق محمدًا، فأنزل الله عز وجل:﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [لقمان: ١٥].

والثانية: أني كنتُ أخذتُ سيفًا أعجبني، فقلتُ: يا رسول الله، هب لي هذا، فنزلت:﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال: ١]

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٢ / ٩١٤).

والثالثة: أني مرضتُ، فأتاني رسول الله، فقلت: يا رسول الله، إني أريد أنْ أقسم مالي، أفأوصي بالنصف؟ فقال: لا، فقلتُ: الثلث؟ فسكت، فكان الثلث بعده جائزًا. والرابعة: إني شربتُ الخمر مع قومٍ مِن الأنصار، فضرب رجل منهم أنفي بلحيَي جملٍ، فأتيت النبي ﷺ، فأنزل عز وجل تحريم الخمر. (صحيح).

سورة الأحزاب:

٤- (٦٠) عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: إنَّ هذه الآية التي في القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٥] . في التوراة نحوها. (صحيحٌ). بعث الله نبيه شاهدًا على أمته وعلى جميع الأمم، ومبشرًا ونذيرًا، وهذه الأوصاف مما وُصف بها -عليه الصلاة والسلام- في الكتب السابقة.

سورة الحجرات:

٥- (٢٥١) عن أبي جبيرة بن الضحاك قال: فينا نزلت -في بني سلمة-: ﴿ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ الحجرات: ١١

قال: قدم علينا رسول الله ﷺ وليس منا رجلٌ إلا له اسمان، فجعل النبي ﷺ يقول: (يا فلان) فيقولون: يا رسول الله، إنه يغضب منه. (صحيح).

سورة الأنفال:

٦- (٣٠٤) عن ابن عباسٍ -رضي الله عنهما- في قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ ﴾ الأنفال: ١. قال: هذا تحريجٌ مِن الله على المؤمنين أنْ يتقوا الله، وأنْ يصلحوا ذات بينِهم. (صحيح الإسناد موقوفًا).

غريب المفردات

التَّحْرِيجُ: التحريج هنا بمعنى: النهي عن الخلاف، قيل: "هذا تحريجٌ مِن الله على القوم، ونهيٌ لهم عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه مِن أمر الغنيمة وغيره يوم بدر"(١).

سورة سبأ:

٧ - (٣٤٤) عن ابن عباسٍ -رضي الله عنهما- في قوله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ سبأ: ٣٩. قال: في غير إسرافٍ ولا تقتيرٍ. (صحيح الإسناد).

سورة الحجرات:

٨- (٦٩٣) عن ابن عباسٍ -رضي الله عنهما- قال: لا أرى أحدًا يعمل بهذه الآية: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾]الحجرات: ١٣]، فيقول الرجل للرجل: أنا أكرم منك، فليس أحدٌ أكرمَ مِن أحدٍ إلا بتقوى الله. (صحيح الإسناد).

سورة النور

٩- (٨١١) عن ابن عباسٍ -رضي الله عنهما- قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ [النور: ٢٧]. واستثنى مِن ذلك، فقال: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ﴾ [النور: ٢٩]. (صحيح الإسناد).

غريب المفردات:

تَسْتَأْنِسُوا: «تَسْتَأْنِسُوا الِاسْتِئْذَانُ بِتَنَحْنُحٍ ونحوه عند الجمهور....وقال البيهقي: معنى

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٣٨٣).

(تَسْتَأْنِسُوا): تَسْتَبْصِرُوا؛ ليكون الدخول على بصيرةٍ، فلا يصادف حالةً يكره صاحب المنزل أنْ يطَّلعوا عليها»[1].

سورة الأحزاب:

١٠- (٨٠٦) عن أنسٍ -رضي الله عنه- أنه كان ابن عشر سنينَ مَقْدِم رسول الله ﷺ المدينة، فكُن أمهاتي يوصونني على خدمته، فخدمتُه عشر سنين، وتُوفِّي وأنا ابن عشرين، فكنتُ أعلم الناس بشأن الحجاب، فكان أول ما نزل ما ابتنى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش أصبح بها عروسًا، فدعا القوم، فأصابوا مِن الطعام، ثم خرجوا، وبقي رهطٌ عند النبي ﷺ، فأطالوا المُكْث، فقام، فخرج وخرجتُ؛ لكي يخرجوا، فمشى فمشيتُ معه، حتى جاء عتبة حجرة عائشة، ثم ظن أنهم خرجوا، فرجع ورجعتُ، حتى دخل على زينب فإذا هم جلوسٌ، فرجع ورجعتُ، حتى بلغ عتبة حجرة عائشة وظن أنهم خرجوا، فرجع ورجعتُ معه فإذا هم قد خرجوا، فضرب النبي ﷺ بيني وبينه الستر، وأُنزل الحجاب.(صحيحٌ).

غريب المفردات:

الرَّهْطُ: هُم عَشِيرةُ الرجُل وأهْله، والرَّهْطُ مِنَ الرِّجَالِ: مَا دُون العَشِرة، وَقِيلَ: إِلَى الأَرْبعين وَلَا تكونُ فِيهِمُ امرأةٌ، وَلَا واحدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، ويُجمعُ عَلَى: أَرْهُطٍ وأَرْهَاطٍ، وأَرَاهِطُ جْمعُ الجَمْع»[2].

سورة لقمان:

---

(١) [illegible].

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر(٢/ ٣٣ ٢).

١١- (٩٦٠) عن ابن عباسٍ -رضي الله عنهما- في قوله عز وجل :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾[لقمان: ٦].

قال: الغِناء وأشباهه. (صحيح الإسناد موقوفًا).

سورة محمدٍ:

١٢ـ(٣٦) عن أبى هريرة -رضي الله عنه- أنَّ رسول الله ﷺ قال: (خلق الله -عز وجل- الخَلْق، فلما فرغ منه قامت الرحم فقال: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك مِن القطيعة، قال: ألا ترضين أنْ أصِل مَن وصلكِ، وأقطع مَن قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فذلكَ لكِ) ثم قال أبو هريرة: اقرأوا إنْ شئتم:﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢]. (صحيحٌ).

غريب المفردات

«الْعَائِذُ الْمُسْتَعِيذُ: وهو المعتصمُ بالشيء الْمُسْتَجِيرُ بِهِ»(١).

المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال التابعين:

التابعي: هو مَن لقِيَ صحابة رسول الله، وأخذ عنهم العلم(٢).

وهم مِن القرون المفَضَّلة التي امتدحها وفضَّلها النبي ﷺ بالخيرية، ودَأْبُ عامة المفسرين على اعتماد تفسيرهم بعد تفسير الصحابة -رضي الله عنهم- سيما مَن اشتُهر منهم بالتفسير:

(١) غريب الخطابي، لابن حجر (٨/ ٥٨).

(٢) نخبة الفكر (٤/ ٣٤).

كمجاهدٍ؛ إذ يقول: عرضتُ القرآن على ابن عباسٍ ثلاث عرضاتٍ[1].

وقد نقل البخاري عن التابعين ثلاثة أقوالٍ.

سورة الإسراء:

١- (٧) عن عروة بن الزبير في قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٢٤]. قال: "لا تمتنع مِن شيءٍ أَحَبَّاهُ".

بِرُّ الوالدين مِن أجل الأعمال وأعظمها، وطاعتهما والخضوع لهما ولين الجانب مما يُؤجر عليه المرء، ويلقي أثره في الحياة قبل الممات؛ فالاستجابة لما يحبان -وإنْ لم يرغبه المرء- يُعد عملًا صالحًا يدخل في البر.

سورة الأحزاب:

٣- (١٨٥) عن عطاء بن يسارٍ قال: لقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- فقلتُ: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ، قال: فقال: أجل والله، إنه لموصوفٌ في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٥].

وحِرزًا للأمِّيين، أنت عبدي ورسولي، سميتُك: المُتوكِّل، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ولا صَخَّابٍ في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به المِلة العَوجاء: بأنْ يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتحوا بها أعينًا عميًا وآذانًا صُمًّا. (صحيحٌ).

غريب المفردات

وحِرزًا للأمِّيين:

(١) الطبقات الكبرى، لابن سعد (١/ ٩٦).

الحِرْزُ: الحِصن والحفظ مِن الشياطين ومِن أذى الكفار[1].

والأُمِّيينَ: العرَبُ؛ فغالبهم لا يَقرَؤونَ ولا يَكتُبونَ.

بفظٍّ ولا غليظٍ ولا صَخَّابٍ في الأسواق

«الفَظُّ: سيِّئ الخُلُق، وَفُلَانٌ أَفَظُّ مِنْ فُلَانٍ: أَيْ أصْعَب خُلُقًا وَأَشْرَسُ، وَالمُرَادُ هَاهُنَا: شِدّة الخُلُق وخُشُونة الجانِب»[2].

والغليظ القلب: القاسي القلب، غير ذي رحمةٍ ولا رأفةٍ[3].

والصَّخَب والسَّخَب: الضَّجَّة، واضطرابُ الأصواتِ للخِصَام، وفَعُول وفعَّال لِلْمُبَالَغَةِ، وَمِنْهُ حَدِيثُ خَدِيجَةَ: «لَا صَخَب فِيهِ وَلَا نَصَب»، وَحَدِيثُ أُمِّ أَيْمَنَ: «وَهِيَ تَصْخَبُ وتذمُر عَلَيْهِ»، وَفِي حَدِيثِ الْمُنَافِقِينَ: «صُخُبٌ بِالنَّهَارِ» أَيْ: صَيَّاخُون فِيهِ ومُتجَادِلُون[4].

المبحث الثاني

علوم القرآن الواردة في كتاب "الأدب المفرد"

بما أنَّ قصْد البخاري هاهنا هو جمْع مَرْويَّات الآداب، فإنَّ علوم القرآن جاءت ليست قصدًا في كتابه، وإنما ورد منها ما يناسب هدف الكتاب.

المطلب الأول: علم أسباب النزول

(١) انظر: لسان العرب (٥/ ٣٣٣).

(٢) لسان العرب (٧/ ٤٢)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٩٤).

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٣٤١).

(٤) لسان العرب (٨/ ١٥)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٤).

أسباب نزول القرآن مِن أهم العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، والتي كانت حلًّا لحوادثَ أو سؤالاتٍ وقعت في زمن التنزيل. وأسباب النزول خير مُعينٍ على فهْم الآيات، ودافعٌ للاشكالات والتعارضات.

معنى سبب النزول:

سبب النزول: هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثةً عنه أو مُبيِّنةً لحكمه أيام وقوعه، والمعنى أنه حادثةٌ وقعت في زمن النبي ﷺ، أو سؤالٌ وُجِّه إليه، فنزلت الآية أو الآيات مِن الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال(١).

سورة الحشر

٦ - (٥٧٢) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّ رجلًا أتى النبيَّ ﷺ، فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: (مَن يَضُمُّ -أو: يُضِيفُ- هذا؟) فقال رجلٌ مِن الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبيان، فقال: هيِّئي طعامكِ، وأصلحي سراجكِ، ونوِّمي صبيانك إذا أرادوا عشاءً، فهيَّأت طعامها، وأصلحت سراجها، ونوَّمت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، وجعلا يُرِيَانِه أنهما يأكلان، وباتا طاوِيَين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: (لقد ضحك الله -أو: عجب- مِن فِعالكما)، وأنزل الله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الحشر: ٩ (صحيحٌ).

غريب المفردات:

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٢)، مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٦٨).

سِراجَكِ: «فَأَصْلِحِي سِراجَك» أَيْ أصْلحيها وَأَضِيئِيهَا، والمِصْبَاح: السِّراج(١).

طاويين: أي جائعَين.

«الطَّاوِي الْبَطْنَ، وَيُقَالُ: طُوِيَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا جَاعَ وَضَمُرَ صَارَ كَالشَّيْءِ الَّذِي لَوِ ابْتُغِيَ طَيُّهُ لَأَمْكَنَ، فَإِنْ تَعَمَّد للجوع قال: طَوَى يَطْوِي طَيًّا، وَذَلِكَ فِي الْقِيَاسِ صَحِيحٌ»(٢). (صحيحٌ)ـ.

هذه القصة كانت سببًا لنزول آياتٍ مِن القرآن فيها ثناءٌ عاطرٌ مِن الله -عز وجل- على الأنصار -رضي الله عنهم- وما امتدحهم به مِن إيثارِ غيرهم على أنفسهم، مع حاجتهم وفاقَتِهم لما بذلوه؛ ابتغاءَ مرضات الله؛ فهذا الفعل لا يقع إلا ممن آثر الله على شهوات نفسه وحظوظها، وهو غاية الجود والكرم.

ومِن الأحاديث التي اشتملت على أسباب النزول: حديث سعد ابن أبي وقاص، وحديث أبي جبيرة بن الضحاك المتقدمان.

المطلب الثاني: علم أمثال القرآن

ضرب الله -عز وجل- لنا في كتابه العزيز الأمثال، وحث على التفكر فيها وتعقُّلها، قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١]. وجعل الحظ الأوفر في العلم لمن عقلها وفهم مُرادها.

وقد ورد في القرآن الكريم الكثيرُ مِن الأمثال التي ضربها الله للعباد للدلالة عليه، ولبيان الحق مِن الباطل، ولتقريب المعنى في الأذهان، وللوعظ والتذكير وغيره مِن الحِكم الجليلة،

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر(٣/ ٧).

(٢) مقاييس اللغة(٣/ ٩٢).

وكذلك ضرب نبيه الكريم لصحابته الأمثال لما لها مِن أثرٍ بالغٍ في الدعوة والفهم وقبول القول، وهذا العلم كُتبت وأُلفت فيه العديد مِن المؤلفات قديمًا وحديثًا، فكَتَب ابن القيم والسيوطي في أمثال القرآن، وكَتَب كذلك أبو عبيدة وابن قتيبة وغيرهم.

تعريف علم أمثال القرآن لغةً:

المَثَلُ يأتي بمعنيين: أحدهما: المِثْل نحو: شَبَه وشِبْه، ونَقَض ونِقْض، قال بعضهم: وقد يُعبر بهما عن وصف الشيء نحو قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ الرعد: ٣٥. والثاني: عبارةٌ عن المشابهة لغيره في معنى مِن المعاني، أي معنًى كان(١).

أمثال القرآن اصطلاحًا:

والمثل: عبارةٌ عن قولٍ في شيءٍ يشبه قولًا في شيءٍ آخر، بينهما مشابهةٌ؛ ليبين أحدهما الآخر ويصوِّره، نحو قولهم: الصيف ضيعت اللبن؛ فإنَّ هذا القول يشبه قولك: أهملت وقت الإمكان أمرك، وعلى هذا الوجه ما ضرب الله تعالى مِن الأمثال، فقال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].(٢)

تشبيه شيءٍ بشيءٍ في حكمه، وتقريب المعقول مِن المحسوس، أو أحد المحسوسين مِن الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر: كقوله تعالى في حق المنافقين: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٧٥٩).

(٢) المصدر السابق (ص٧٥٩).

حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة: ١٧](١).

سورة إبراهيم:

- (٢٧٦) عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: (أخبروني بشجرةٍ مَثَلُها مَثَلُ المسلم: تؤتي أكلها كل حينٍ بإذن ربها، لا تَحُتُّ ورقَها) فوقع في نفسي: النخلة، فكرهتُ أنْ أتكلم وثَمَّ أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما- فلما لم يتكلما، قال النبي ﷺ: (هي النخلة)، فلما خرجتُ مع أبي قلتُ: يا أبتِ، وقع في نفسي: النخلة، قال: ما منعك أنْ تقولها؟ لو كنتَ قلتَها كان أحب إليَّ مِن كذا وكذا، قال: ما منعني إلا لم أرَكَ ولا أبا بكرٍ تكلمتُما، فكرهتُ. (صحيحٌ).

غريب المفردات

لا تَحُتُّ: أي: لا يسقط ورقها.

المطلب الثالث: علم الناسخ والمنسوخ:

يُعد علم الناسخ والمنسوخ مِن العلوم المهمة في علوم القرآن الكريم، والذي ينبغي العناية به لكل مَن يُفتي أو يُعلِّم الناس علمًا شرعيًا؛ فعليه يتوقف ثبوت الأحكام مِن عدمها، وهو قاعدةٌ مهمةٌ في الترجيح عند التعارض؛ لذا كان محل اهتمام العلماء: فمنهم مَن أدرجه ضمن علومه، ومنهم مَن ألَّف فيه مُؤلَّفًا مَستقِلًا.

تعريف النسخ لغةً:

(نَسَخَ): النون والسين والخاء أصلٌ واحدٌ، إلا أنه مختلفٌ في قياسه، قال قومٌ: قياسه رفع شيءٍ وإثبات غيره مكانه، وقال آخرون: قياسه تحويل شيءٍ إلى شيءٍ، قالوا: النسخ: نسخ الكتاب،

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٢٧٢).

والنسخ: أمرٌ كان يُعمل به مِن قبلُ، ثم يُنسخ بحادثٍ غيره: كالآية ينزل فيها أمرٌ، ثم تُنسخ بآيةٍ أخرى، وكل شيءٍ خلف شيئًا فقد انتسخه، وانتسخت الشمسُ الظلَّ، والشيب الشباب، وتناسخ الورثة: أنْ يموت ورثةٌ بعد ورثةٍ وأصلُ الإرث قائمٌ لم يُقسم»(١).

تعريف النسخ اصطلاحًا:

«رفْع الحكم الشرعي بدليلٍ شرعيٍّ مُتراخٍ عنه»(٢)، ويُسمى الحكم المرفوع: منسوخًا، والحكم الرافع له: ناسخًا.

وهذا العلم مما لا يستغني عنه عالمٌ، وقد قال علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– لقاصٍّ: "أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: الله أعلم، قال: هلكتَ وأهلكتَ"(٣).

– (١٧) عن ابن عباسٍ –رضي الله عنهما– في قوله عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ الإسراء: ٢٣. إلى قوله: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ الإسراء: ٢٤. فنسخَتْها الآية في براءة: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ التوبة: ١١٣. (حسن الإسناد).

ذكر البخاري هنا نوعًا مِن أنواع الناسخ والمنسوخ، وهو نسخ القرآن بالقرآن، وهو نوعٌ مُتفَقٌ عليه عند العلماء، له أمثلته التي جمعوها وألَّفوا فيها الكتب، وذكر البخاري في النسخ روايةً

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٤٢٤).

(٢) مناهل العرفان (٢/ ١٧٦).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٩٢).

واحدةً فقط.

المبحث الثالث

المصادر التفسيرية التي اعتمدها، والمقارنة بين مرويات "الجامع الصحيح" و"الأدب المفرد" في التفسير وعلوم القرآن

المطلب الأول: المصادر التفسيرية التي اعتمدها البخاري

اعتمد الإمام البخاري كغيره مِن العلماء على مَن سبقوه، وليس ذلك بعيبٍ، فكان ينقل بعض الغريب عن الفراء وأبي عبيدة.

المطلب الثاني: المقارنة بين مرويات "الجامع الصحيح" و"الأدب المفرد" في التفسير

لم ينتهج البخاري في "الأدب المفرد" ما انتهجه في الصحيح مِن تكرار الأحاديث:

- سار البخاري في "الأدب المفرد" على ما انتهجه في "الجامع الصحيح" مِن: التفسير النبوي، وذِكر تفسير الصحابة وتفسير التابعين، وذِكر بعضٍ مِن أنواع علوم القرآن.
- الاختلاف بينهما في عدد الروايات كما ذكرتُه سابقًا.
- اعتنى في كتاب التفسير في الصحيح بما لم يعتنِ به بشكلٍ ظاهرٍ في "الأدب المفرد": كالعناية بدرجة الحديث وصحته، والعناية بالغريب مِن المفردات.
- وهذه المقارنة لا تعني عدم وجود قيمةٍ لكتاب "الأدب المفرد" وما شمله مِن مروياتٍ تفسيريةٍ، بل لهذه المرويات أهميةٌ بالغةٌ؛ حيث يذكرها المفسرون في كتبهم؛ فهي في الأساس مصادرُ للتفسير بالمأثور، وهي أكثر مما في الصحيح.
- بعض هذه الروايات مصدرٌ لعلوم القرآن، يستشهد بها كل مَن ألَّف في علوم القرآن.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، فبعد دراستي لهذا الموضوع: (التفسير وعلوم القرآن في كتاب "الأدب المفرد" للإمام البخاري)، خرجتُ بالنتائج التالية:

- ما أورده البخاري هو مِن باب الأحاديث وفضائل القرآن والنسخ، وليس مِن باب شرح الآيات.
- طريقته في التفسير غلبت عليها الصناعة الحديثية كما نلحظها في ترجمته للأبواب التي غلبت عليها آراؤه الفقهية.
- تفسيره لا يشمل السورة كاملةً، بل أتى بما يناسب هدف كتابه فقط.
- اعتنى في كتاب التفسير في الصحيح بما لم يعتنِ به بشكلٍ ظاهرٍ في "الأدب المفرد": كالعناية بدرجة الحديث وصحته، والعناية بالغريب مِن المفردات.

أهم التوصيات المتعلقة بالبحث:

أوصي الباحثين باستخلاص ما يتعلق بالتفسير وعلوم القرآن مِن كتب العلوم الأخرى: كالتاريخ ونحوه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين